لا عذر لنا عند ربنا

قال كتّاب السِّير والمغازي والتاريخ:

وفرغ الناس لقتلاهم يوم أُحد ، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ، أفي الأحياء أمْ في الأموات؟».

فقام محمد بن مسلمة الأنصاري ، فقال: يا سعد بن الربيع ، مرة بعد مرة ، فلم يُجبه أحد ، حتىٰ صاح: يا سعد بن الربيع ، إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ما صنعتَ. فأجابه سعد بصوتٍ خافتٍ ضعيف.

فنظر إليه محمد بن مسلمة، فوجده جريحاً في القتلى، وبه رمق ، فقال له: إن رسول الله أمرني أن أنظر: أفي الأحياء أنت أمْ في الأموات.. ؟

قال سعد: أنا في الأموات ، فأبلغْ رسول الله ﷺ وقلْ له: إن سعد ابن الربيع يقول لك: جزاك الله عنّا خير ما جزىٰ نبيّاً عن أمته ، وأخبره أني قد طُعنت اثنتي عشرة طعنة ، وإني قد أنفذت مقاتلي..

ثم قال سعد لمحمد بن مسلمة: أبلغ قومك عني السّلام ، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله ، إن خلُص إلىٰ نبيكم ، وفيكم عينُ تطرف ، ثم لم يلبث أن قضىٰ شهيداً رضي الله عنه ، فجاء محمد بن مسلمة، فأخبر رسول الله ﷺ بذاك.

وحكىٰ أبو بكر الزبيدي: أن رجلاً دخل علىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة ، كان أبو بكر قد حملها علىٰ صدره ، وهو يرشفها ويقبّلها.

فقال الرجال: هذه ابنتك يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: هذه بنت رجلٍ خير مني، بنت سعد بن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة وشهد بدراً واستشهد يوم أحد.

وكان عباس بن عبادة رضي الله عنه يصيح يوم أحد: يا معشر المسلمين، الله ونبيكم! ثم نزع مغفره. وخلع درعه، والتفت إلىٰ خارجة بن زيد بجانبه يقاتل. فقال له: هل لك فيهما؟

قال خارجة: لا، أنا أُريد الذي تُريد، فاقتحما المشركين، وعباس يصيح: ما عذرنا إن أُصيب رسول الله ﷺ وفينا عينٌ تطرف؟

فيجيبه خارجة: لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة، حتىٰ استشهدا رضي الله عنهما[1].

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لقد حباك الله سبحانه بحب لا مثيل له من الصحابة، لذلك تسمع أن أحدهم جاء بماله كله فداءً لله ورسوله، وآخر جعل جسده تُرساً ليذود عن رسول الله ﷺ، والثالث... والرابع...

كل ذلك لأن السرّ قد وضح لهم، وهو أن المصطفىٰ ﷺ هو روح الوجود.

أعني الرسول فإن الله فضّله ... علىٰ البريّة بالتقوىٰ وبالجودِ
فينا الرسول وفينا الحق نتبعهُ ... حتىٰ الممات ونصرٌ غير محدودِ
ماضٍ على الهول ركّابٌ لما قطعوا ... إذا الكماةُ تحاموا في الصناديدِ
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُستضاء به ... بدرٌ أنار علىٰ كل الأماجيدِ
مباركٌ كضياء البدر صورته ... ما قال كان قضاءً غير مردودِ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٣/ ١٠١، طبقات ابن سعد: ٢/ ٧٧، سيرة ابن كثير: ٣/ ٧٨.